

ترجمة
شيخ الإسلام ابن تيمية

« والله ما يبغض ابن تيمية
إلا جاهل أو صاحب هوى »
السبكي

المؤرخ الكبير

محمد كرد علي

رئيس الجمع العلمي العربي بدمشق

الطبعة الاولى ١٣٨١ دمشق

الطبعة الثانية ١٣٩١ دمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقْدَّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شَرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ
لَّهُ، وَمِنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِيٌ لَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ فَهَذِهِ تَرْجِمَةٌ مُوجَزَةٌ لِشِيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ
أَحْمَدَ بْنَ تَيْمِيَّةَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، دِبْجَتْهَا يَرَاعَةُ الْمُؤْرِخِ
الْكَبِيرِ الْأَسْتَاذِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدِ كُرَدِ عَلِيٍّ وَتَيْسِ الْجَمْعِ الْعَلَمِيِّ الْعَرَبِيِّ
فِي كِتَابِهِ «كَنْوَزُ الْأَجْدَادِ»، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نُنْشِرَ هَذِهِ
الْتَّرْجِمَةَ فِي رِسَالَةٍ مُنْفَرِّدَةٍ لِيُعْمَلَ نَفْعُهَا فِي وَقْتٍ مُنْخَرِطٍ أَحْوَجَ

ما نكون فيه إلى أمثال ابن تيمية في قوة عقيدته ، وسعة عالمه ، واستقامة خلقه ، وبعده عن الاستغلال والهوى ، وجرأته في الحق ، وجهاده باللسان والقلم والسيف في سبيل الله عز وجل ، وفي وقت يحاول فيه بعض أدعية العلم أن يفتروا عليه ، ويشهوها حقيقته ، ويُقصُّوا الناس عنه حتى لا ينكشف بالتعرف إليه تضليلُهُمُوا وانحرافهم وقصورهم .

ولقد كتب أحد المتطفين على العلم من قريب رسالتين ليس فيها إلا ما ينافق الكتاب والسنة ، ويدل على الجهل والغرض ، وهاجم في هاتين الرسالتين شيخ الإسلام ابن تيمية وهو لا يعرف - كما بدا من كلامه وأخطائه - في أي عصر وجد ، ولم يقرأ شيئاً من كتبه التي أربت على ثلاثة مجلد .

إن هذا المتطفل وأمثاله إما أن يكونوا جاهلين أو مغرضين لا يريدون أن يعرف الناس حقيقة دينهم فينقطع عليهم بذلك سبيل الاستغلال والارتزاق بمخادعة العوام ، والواجهة بالخرافات ، ونشر هذه الترجمة التي كتبها عالم

مؤرخ بعيد في هذه القضية من الغرض الشخصي يساعد الجاهلين على المعرفة وإبصار الحق فيعودون إلى منهج الصواب ويكشف المغرضين أرباب الموى ويلقهم حجرأً.

إننا لا نريد بما ننشر في هذه الترجمة فضيحة شخص بذاته ، ولم نزد الخصم ، وإنما أردنا المعاونة على الوصول إلى الحق .. لذلك لم نذكر اسم هذا الجاهل أو المغرض الذي ناقض الإسلام باسم الإسلام ، وهم في أسمه باسم الغيرة عليه .

وإننا لنكون سعداء جداً إذا كشفت هذه الرسالة للقارئين عن حقيقة الإمام ابن تيمية ، وردت الخطئين عن خطئهم ، ونبهت المغرضين على ظلمهم ، وأعانت الجميع على العودة إلى طريق السداد . ونسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يجعل عملنا خالصاً ، وسعينا منتجأً .

هذا وقد يسر الله لنا طبع «حياة شيخ الإسلام» لعلامة الشام أستاذنا الجليل الشيخ محمد بهجت العبيطار مد الله بعمره وقد نفع الله بهذا الكتاب وهو تحت الطبع للمرة الثانية .

وإنتا لحمد الله على أن جعل بسبب ما طبعنا من كتب
شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وغيرهما من علماء الإسلام الذين
نصروا السنة الأثر الطيب النافع في رد أباطيل أهل الافتراء
والدس . كتب الله لهذه الأمة الرجوع إلى العمل بالكتاب
والسنة إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مـ زـ هـ يـ رـ وـ بـ زـ



ابن تيمية

ولد بحران سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق ، وكانوا قد خرجوه من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التistar وقدموا دمشق سنة سبع وستين .

فسمع الحديث من أئمته في دمشق ، وسمع مسند أحمد مرات ، ومعجم الطبراني الكبير ، والكتب الكبار والأجزاء .

وعني بالحديث ، وقرأ بنفسه الكثير ، ولازم السماع مدة سنين ، ونسخ وانتقى وكتب الطباق^(١) والأثبات ،

(١) أي : الساعات .

وتعلم الخط والحساب في المكتب ^(١) ، واشتغل بالعلوم ، وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه ، وقرأ في العربية على ابن عبد القوي ^(٢) ثم فهمها ، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه ، وبرع في النحو وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه ، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة ، فابتهر الفضلاء من فرط ذكائه ، وسائل ذهنه وقوه حافظته ، وسرعة إدراكه .

(١) في الأصل «الكتب» وهو تصحيف ، والتصويب من كتاب «الرد الوافر» لابن ناصر الدمشقي و «العقود الدرية» في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، لابن عبد الهادي ، ورسالة «الكواكب الدرية» للشيخ مرعى بن يوسف الكرمي .

(٢) هو العلامة مهمس الدين محمد بن عبد القوي ابن بدران المرداوي الحنبلي ٦٣٠ - ٦٩٩ .

ذلك ما قاله من ترجموا له في نشأته .

أما أخلاقه فقالوا : إنه نشأ في تصنون ^(١) تام ،
وعفاف وتأله ، واقتصاد في الملبس والأكل ، ولم
يزل على ذلك خلفاً صالحأ ، برأ بوالديه تقىأ ورعاً
عابداً ناسكاً صواماً قواماً ، ذاكراً الله تعالى في
كل أمر ، وعلى كل حال ، رجاعاً إلى الله تعالى في سائر
الأحوال والقضايا ، وقفأا عند حدود الله تعالى وأوامره
ونواهيه ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، فارغاً
من شهوات المأكل والملابس والجماع ، لا لذة له في
غير نشر العلم وتدريسه ، عرض عليه منصب قضاء
القضاة ومشيخة الشيوخ فلم يقبل « .

(١) في الأصل « تصوف » والصواب ما أثبتناه نقلأ
عن « الرد الوافر » و « العقود الدرية » .

و قبل وظائف والده في التدريس وله إحدى
وعشرون سنة . وكان والده من كبار الحنابلة وأئمتهم ،
ودرس هو بعده ، فاشتهر أمره وبعد صيته في العالم ،
وما أتى له ثلاثون سنة حتى كان من أعظم علماء
عصره ، بل أعظم عالم في عصره ، لا تكاد نفسه
تشبع من العلم ، ولا تروي من المطالعة ، ولا تتملّ
من الاشتغال ، ولا تكيل من البحث ، وقل أن
يدخل في باب من أبواب العلوم إلا وفتح له من
ذلك الباب أبواب ، واستدرك أشياء في ذلك العلم
على حذّاق أهله .

وكان يحضر المجالس والمحافل في صغره ، فيتكلّم
ويناظر ويفهم الكبار ، ويأتي بما يحاج منه أعيان

البلد . وشرع في الجمع والتأليف وله نحو سبع عشر سنة .

قال المخاتف الزملکانی (١) : كان إذا سئل عن فن من الفنون ظن الرأي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه مالم يكونوا عرفوه قبل

(١) هو قاضي القضاة الحافظ كمال الدين محمد بن علي الزملکانی الشافعی ٦٦٧ - ٧٢٧ . ولقب قاضي القضاة بما يکره استعماله قیاساً على ملك الملوك كما ذكر ابن القیم في « زاد المعاذ » وقد کرہ رسول الله عليه وآلہ وسلم أن يقال للسلطان : ملك الملوك . أخرج ذلك البخاری من حديث أبي هریة فایرادنا لهذا اللقب هنا لا يعني إقرارنا له ولكن رعاية جانب الأمانة العلمية ومحافظة على ما كان مصطلحاً عليه .

ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ،
ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم
الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوب إليه .
وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة
العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

وقالوا فيه : « وأخذ في تفسير الكتاب العزيز
أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد ما يقوله
من غير توقف ولا تلعثم ، وكذا كان يورد الدروس
بتوءة وصوت جهوري فصيح .

وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل والزهد
والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والأناة
والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن

المنكر ، مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة ،
وحسن القصد والإخلاص والابتهاج إلى الله تعالى
وشدة الخوف منه ، ودوام المراقبة له ، والتمسك
 بالأمر ، والدعاء إلى الله تعالى ، وحسن الأخلاق
ونفع الخلق والإحسان إليهم .

وكان رحمة الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ،
وشجى في حلق أهل الأهواء والمبتدعين ، وإماماً
قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طنت بذكره الأمصار ،
وضفت بمثله الاعصار .

وقال الذهبي ^(١) : إنه صار من أكابر العلماء

في حياة شيوخه ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كتاب وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنتين من صدره أيام الجماعة ، وكان يتقد ذكاءً ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ، ومعرفته بالتفسير إليها المتى ، وحفظه للحديث ورجاله وصحيحه وسقمه مما لا يلحق فيه ، وأما نقله للفقه ولماه الصدقة والتابعين فضلاً عن مذاهب الأربعة ، فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والتخل والأصول

— الفقه — قال الله تعالى رسوله

— إن صح — والإجماع فاجهد فيه

وخذار من نصب الخلاف جهالة
بين النبي وبين رأي فقيه

والكلام فلا أعلم له فيه مثيلاً ، وعريته قوية جداً ،
وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب .

قال : فإن ذكر التفسير ، فهو حامل لواهه ، وإن
عد الفقهاء ، فهو مجتهدهم المطلق ، وإن حضر الحفاظ
نطق وخرسوا ، وسردوا بِلْسُوا ، واستغنى وأفلسوا ،
وإن سمي المتكلمون ، فهو فردهم وإليه مرجعهم ،
وإن لاح ابن سينا ^(١) يَقْدُمُ الفلسفة فلَهُمْ وَتَيَسِّمُ
وَهُنَّكَ أَسْتَارُهُمْ ، وَكَشَفَ عَوَارُهُمْ .

(١) هو الحسين بن عبد الله الرئيس ابن سينا الفيلسوف المشهور الذي ذكر في الشرق والغرب له أكثر من مئة مؤلف ورسالة في الفلسفة والطب والإلهيات والنفس والرياضيات والأخلاق والمنطق . وجاء في « الأعلام » للعلامة الأستاذ الزركلي : « يأخذ عن الملاحدة المتنسبين إلى -

وله يد طولى في معرفة العربية والصرف
واللغة وهو أعظم من أن تصفه كلمي أو تبيّنه
إشارة قلمي .

وقال في مكان آخر : له خبرة ثامة بالرجال
وجرائمهم وتعديلاتهم ومعرفة بفنون الحديث،
 وبالعالى والنازل ، وبالصحيح وبالسقىم مع حفظه
لمنونه الذى انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر
رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره
واستخراج الحجج منه ، وإليه المتنى في عزوه إلى

- المسلمين كإسماعيلية ، وكان أهل بيته من أهل
دعوتهم ، من اتباع الحاكم العبيدي . » ولد ٣٧٠
ومات ٤٢٨ هـ .

الكتب الستة والمسند ^(١) بحيث يصدق عليه أن
يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس
بحديث ، ^(٢) ولكن الإحاطة لله ، غير أنه يغترف
فيه من بحر ، وغيره يغترف من السوافي .
وقال أيضاً : كان يقضى منه العجب إذا ذكر

(١) الكتب الستة هي : صحيح البخاري ، صحيح
مسلم ، سنن أبي داود ، سنن النسائي ، سنن الترمذى ،
سنن ابن ماجه . والمسند : هو مسند الإمام أحمد بن محمد
ابن حنبل ، وقد جدد المكتب الإسلامي تصوير طبعته
الكاملة في ستة مجلدات مع فهرس للصحابة صنعه الحدث
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

(٢) في هذا غلو لا يخفى على المتضلعين بعلم الحديث
ولا يرضاه ابن تيمية نفسه لو علم به . نقول هذا مع
اعترافنا بأنه قد أحاط بالقسم الأوفى من الحديث وقد
أحسن باستدراكه بقوله : ولكن الإحاطة لله .

مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح ، وكان
يحق له الاجتهد لاجتئاع شروطه فيه .

قال : وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة
على المسألة التي يوردها منه ، ولا أشد استحضاراً
للتون وعزوها منه ، كأن السنة نصب عينيه وعلى
طرف لسانه ، بعبارة رشيقه وعين مفتوحة ...
ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه ،
ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه ،
وقد أوديت من الفريقين من أصحابه وأضداده .
وكان أبضم أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ،
شعره إلى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ،
ربعة من الرجال ، بعيد ما بين المنكبين ، جهوري

الصوت فصيحاً ، سريع القراءة ، تعترىه حدة لكن
يظهرها بالحلم .. وقال : تعترىه حدة في البحث
وغضب تزروع له عداوة في التفوس .

كتب الذهبي إلى السبكي ^(١) يعاتبه بسبب كلام

(١) هو قاضي القضاة أبو الحسن السبكي وكانت بينه وبين
ابنه وتلامذتهم من جهة وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذة
مجادلات وردود ، وهذه الكلمة تذكر للسبكي بالتقدير .
رحم الله الجميع .

وأما صاحب الكلمة التي وضعنها على الغلاف فهو
بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن محبى بن غانم
السبكي المولود بدمشق سنة ٧٠٧ والمتوفى فيها سنة ٧٧٧ .
والمترجم به « الرد الواfir » رقم ١٦ طبع المكتب الإسلامي
وتقام الكلمة « والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو
صاحب هوى فاجاهل لا يدرى ما يقول » وصاحب الموى يصدحه -

وقع منه في حق ابن تيمية فأجابه : وأما قول
سيدي في الشيخ تقي الدين ، فالمملوك يتحقق كبير
قدره، وزخاره بحره، وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية،
وفرط ذكائه واجتهاده وبلغه في كلِّ من ذلك
المبلغ الذي يتتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك
دائماً ، وقدره في نفسي أكثر من ذلك وأجل مع
ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونهرة
الحق والقيام فيه لا لغرض سواه ، وجريه على سنن

- هواه عن الحق » وقد أوردها العلامة الشيخ بهجة البيطار في
كتابه القيم « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » الصفحة (٢٢)
وأوردها العلامة صديق حسن خان في شرح ألفية ابن
ناصر الدين الدمشقي في التاريخ ، وأوردها في الصفحة ١٠٣
من « القول الجلي » العلامة صفي الدين البخاري الحنفي .

السلف ، وأخذه من ذلك بالأخذ الأولي ، وغراية
مثله في هذا الزمان بل من أزمان .

وقال ابن سيد الناس ^(١) : إنه برأز في كل فن
على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رأه مثله ، ولا رأت
عينه مثل نفسه .

★ ★ ★

بدأت مخنة شيخ الإسلام لما تمت أدواته وشاعت
فتاويه في مسائل وجد منها حсадه مدخلًا لهم ،
فناقشوه وكفروه وبدعوه ، فنكله الولاة وغربوه ،

(١) هو الحافظ فتح الدين محمد ابن سيد الناس اليعمري
الأندلسي الشافعي المتوفى ٧٣٤ .

وكان منذ سنة تسع وتسعين وستمائة ظهرت شخصيته السياسية في البلاد ، وبدأ تعویل الأمة عليه في دفع أعدائها عنها في نوبة غازان ^(١) ، فقام بأعباء الأمر بنفسه ، واجتمع بنايته وجرأ على المغول ^(٢) وتوجه بعد ذلك بعام إلى الديار المصرية لما اشتد الأمر بالشام من المغول ، واستصرخ بأركان الدولة وحضنهم على الجهاد ، ثم عاد بعد أيام إلى دمشق وظهر اهتمامه بجهاد التتار وتحريضه الأمراء على ذلك إلى ورود الخبر بانصرافهم ، وقيامه القيام محمود

(١) غازان : قائد جيش التتار الذي حاصر دمشق .

(٢) المغول والttار أمة من الجنس الأصفر اكتسحوا العالم الإسلامي فخرموا المدن ، وأذلوا معالم الحضارة ، ثم هدأهم الله - بعد ذلك - للإسلام فكان منهم حماة له .

في وقعة (شقب) ^(١) سنة اثنين وسبعينة واجتباوه بال الخليفة والسلطان ، وأرباب الخل والعقد ، وتحريضهم على الجهاد . ثم توجه في آخر سنة أربع وسبعينة لقتال الكسروانيين ^(٢) واستئصال شأفتهم ، ثم مناظراته للمخالفين في سنة خمس في المجالس التي

(١) شقب : عين ماء جنوب دمشق بعد الكسوة على عين الذاهب إلى حوران ، جرت فيها معركة عظيمة بين التتار والمليين أبي شبيخ الإسلام فيها البلاء الحسن ، وكانت في أول رمضان .

(٢) الكسروانيون : هم سكان جبل كسروان من النصارى والروافض والنصيرية وأصحاب العقادرة الفاسدة ، وكلهم كان يبدأ وعييناً للفرنج والتتار . وقد جرت المعركة معهم في مستهل ذي الحجة سنة أربع وسبعينة .

عقدت له بحضور نائب السلطة الأفروم وظهوره عليهم بالحججة والبيان ، ورجوعهم إلى قوله طانعين مكرهين .

ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة إلى الديار المصرية في صحبة قاضي القضاة الشافعية ^(١) وعقدهم له مجلساً حين وصوله بحضور القضاة وأكابر الدولة ، ثم حبسه في الجب بقلعة الجبل ومعه أخواه ^(٢) سنة ونصفاً ، ثم إخراجه بعد ذلك وعقدهم له مجلساً ظهر فيه على خصومه ، ثم عقد لهم

(١) هو القاضي نجم الدين بن قصرى ، كما في « العقود الدرية » صفحة ٢٤٨ .

(٢) هما شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحمن .

له مجلساً سنة سبع لكتاباته في طريقة الاتحادية ^(١) ثم الأمر بتسفيره إلى الشام على البريد ، ثم الأمر برد ه من مرحلة وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً ، ثم إخراجه منه وتوجيهه إلى الإسكندرية ، وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر ، ثم توجهه إلى مصر واجتاعه بالسلطان ^(٢) في مجلس ضم القضاة وأعيان الأمراء وإكرامه له إكراماً عظيماً ومشاورته له في قتل بعض أعدائه وامتناع الشيخ عن ذلك ، ثم سكانه القاهرة ، ثم توجهه إلى الشام ، ثم ملازمته بدمشق لنشر العلوم وتصنيف

(١) أصحاب وحدة الوجود ، وكفر هؤلاء أشد من كفر اليهود والنصارى .

(٢) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى ٧٤١.

الكتب وافتاء الخلق . إلى أن تكلم بمسألة الخلف بالطلاق ، فأشار عليه بعض القضاة بترك الافتاء بها في سنة ثمانى عشرة وسبعينة ، فقبل إشارته دفعاً للفتنة ، ثم ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى بها ، ثم عاد الشيخ إلى الافتاء بها وقال :

لا يسعني كتمان العلم ، وبقي كذلك مدة إلى أن جبوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ولم يزل على عادته من الاشتغال والتعليم إلى أن ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين ، وكان أجاب به من نحو عشرين سنة ، فشنعوا عليه بسبب ذلك ، وورد

مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين
 يجعله في القلعة ، فأخلت له قاعة حسنة وأقام فيها
 ومعه أخوه يخدمه ، فكتب في المسألة التي حبس
 بسيها مجلدات عديدة وظهر بعض ما كتبه واشتهر ،
 وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة ،
 وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا له دواة
 ولا قاماً ولا ورقة ، وكتب عقب ذلك بفحم .
 وكان إخراج الكتب من عنده من أعظم النقم ،
 وبقي أشهرأ على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة
 والتهجد حتى أتاه اليقين .

هذا محمل ما قيل في حالة شيخ الإسلام ، ومع
 ما حاول أعداؤه أن ينghostوا عيشه دأب في كل

زمن على التأليف ، فألف ثلاثة مجلد (١) وكلها في
الشرع ، وفي حل مسائل عويصة من الدين تقرأ فيها
وصلنا منها مثلاً من علمه النفيس ، وعمله الذي عقّمت
القرون أن يأتي رجل بما يماثله .

كثُرت تأليفه ، لأنَّه كان يؤلِّف من صدره ،
حفظ الكتاب والسنة وما دون في شروحها ، وما قاله
العلماء في تفسيرهما ، وقد ساعدته كثرة محفوظه
وفيض خاطره ، وسعة بيانه على تدوين حقائق لم
يكتب العالم مثله في موضوعه ، ولو لم يكن له

(١) ألف الإمام ابن قيم الجوزية رسالة في مؤلفات
الشيخ فبلغت الرسالة اثنين وعشرين صفحة ، فيها ما يقرب
من ثلاثة وخمسين كتاباً ورسالة وقاعدة . ثم ظهر أن
الشيخ الإسلام كتبها ورسائل لم يرد لها ذكر في رسالة ابن القيم .

إلا « منهاج السنة » ، لكتفاه على الأيام فخرًا لا يبلي ،
ففيه مثال من عالمه وقوته حجته ومعرفته بالملل والنحل ،
وإذا قلنا : إنه لم يمؤلف نظيره في الرد على المخالفين
لأهل السنة لصدقنا كل منصف من أهل القبلة .
وكتاب « منهاج السنة » من أصح الشهادات على
علو كعبه في معرفة الشرع وما تقلب عليه ،
وما حاول بعض أهل الأهواء من العبث به ، وفيما
أورده الموافقون والمخالفون من صحيح الآراء
وبحرجها ، وكان عنوان مداركه الواسعة بتاريخ
الإسلام وتاريخ الملل والنحل ، ولو ادعينا أنه لم
يأت عالم مثله يعرف ما طرأ على الدين ومذاهب
أهله فيه ساعة ساعة ويوماً يوماً ما قدر أحد على
رد دعوانا .

رد على المعتزلة وعلى الجهمية وعلى الشيعة وعلى
الفلسفه ^(١) وعلى غيرهم فجاء بالعجب من الآراء

(١) المعتزلة : فرقه من الفرق الإسلامية وقد سمي
اباعها بالمعزلة لاعتزال زعيمها واصل بن عطاء وعمرو بن
عبيد حلقة الحسن البصري لما اختلفا معه في حكم مرتكب
الكبيرة ، وقالا : إنه في منزلة بين المزليين لا مؤمن مطلقاً
ولا كافر مطلقاً ، وقيل : إنهم سمو بالمعزلة لاعتزالهم رأي
الأمة في القول المقدم . وتتلخص تعاليمهم في الأصول التالية :

- ١ - القول بالمنزلة بين المزليين .
- ٢ - القول بأن الله لا يخلق أفعال الناس بل هم الذين
يخلقون أفعالهم .
- ٣ - نفي صفات الله من علم وقدرة وحياة وسمع
وبصر ... الخ .
- ٤ - قوله بسلطنة العقل وقدرته على معرفة الحسن
والقبيح ولو لم يرد بها شرع .

التي استخرجها من روح الشريعة واستنبطها بعد نظره وشدة بحثه فما كتب لإمام من الأئمة في عصره وبعد عصره أن يناقضه ويرد أقواله .

وعلى كثرة ما حرص الشافعية للتفوق على هذا الخبلي ^(١) ، واقناع العلماء بفتاويهم وتزيف فتاوينهم ،

وقد تشعبت المعتزلة شعباً مختلفاً وهم الذين قالوا بخلق القرآن وكانوا أصحاب منطق وبيان مع زيف عقidiتهم . الجهمية : هم الجبرية ، ودعوا بالجهمية نسبة إلى جهم ابن صفوان وكانوا يقولون : إن الإنسان مجبر لا اختيار له ولا قدرة ، ويقولون بنفي الصفات ، وبأن القرآن مخلوق . وقد مات جهم مقتولاً نحو سنة ١٢٨ .

(١) كان خصوم الشيخ في الواقع كل من خاق أفقه أو ظهر حسده من مختلف المذاهب ، كما كان أنصاره أيضاً من مختلف المذاهب .

ما كانوا معه إلا للأطفال أمام الرجال ، وفي مقدمتهم المشايخ بنو السبكي ، وما كان لهم في دولة مصر والشام من السلطان .

اعتقلوه في القاهرة والاسكندرية أشهرأً لم تمنعه عن التأليف والتدريس والوعظ ، وما حالوا دون إعجاب المنصفين من العلماء به وقول الحق فيه ولا دون تقدس الأمة له يوم موته ، وهي التي عرفته سباقاً إلى كل خير يقصد منه صلاح دنياها ودينهَا ، وكان له في انتصار دولة المماليك على التتار اليد الطولى التي لا تُنكر ، ودل أنه في السياسة كما هو في الدين إمام عظيم ، وأن الدين لا ينفصل عن السياسة في نظره ، وما سمع لأحد علماء الدين

في عصره صوت مثل صوته في احراق الحق ونصرة
سلطان الإسلام .

ونسبة قوم إلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى
فإنه كان يلهم بذكر ابن تومرت ^(١) ويطريه فكان
ذلك مؤكداً لطول سجنه .

ولم يرض يوم عقد الصلح مع التتار أن يتخلّى
عن الأسرى من النصارى واليهود ، فقال : لانهم
ذمتنا ولا بد من إرجاعهم إلى ديارهم .

وكم له من مثل هذه الحسنات التي أصبحت كأنها

(١) هو محمد بن تومرت صاحب دعوة دينية في المغرب
وتعتبر دولة الموردين ثرة لدعوته . وقد أعلن أنه المهدي
وأنه أرسل ليقيم حكم الكتاب والسنة ويقمع الفساد والبغى
ثار على دا ابن تاسفين ، ولد ٤٨٥ وكانت وفاته ٥٢٤ .

قواعد من قواعد الشرع والسياسة لا يستغنى عنها
خليفة ولا سلطان .

إن استعانته خصوم ابن تيمية بقوة رجال الدولة
في مسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء
والصالحين وفي غير ذلك من البدع التي أقروها ،
والشريعة تذكرها إنكاراً ظاهراً كما يفهم من آي
الكتاب العزيز ، وهدي الصحابة والتابعين والعلماء
العاملين ، واغتباطهم بما ظنوه ظفراً لهم في تلك
المعركة الشديدة قد كان من نتائجه مسخ الشريعة
عند المتأخرین ، وبقيت الأمة على إقرار الخرافات
والبدع إلى يوم الناس هذا في بلاد المسلمين كافة ،
وكانهم اخترعوا شريعة أخرى استcallوا بها العوام

ومزجوها بالشريعة الاصلية رغم أنوف الخواص
فركبوا عار الأبد ، ولعنوا بما بدلوا وحرفو ، هو
لم يأت ببدع ، وهم سلموا بكل البدع ، فكان العالم
العامل حقا ، وكانوا عبدة أوهام وضلالات .

أراد شرعاً نقياً من الأدران ، وهم تساوت
عندهم النقاوة والنفاية ، لأنهم يقصدون بمناقشاتهم
الظهور وكسب قلوب الغوغاء على أي حال .

لو عمت دعوة ابن تيمية — ولدعوه ما يماثلها
في المذاهب الإسلامية ولكنها عنده كانت حارة
وعند غيره فاترة — لسلم هذا الدين من تحريف
المخرفين على الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار
الإسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد إليه

الرحال بما يخالف الشرع ، ولا يعتقد بالكرامات
على ما ينكره دين أتى للتوحيد لا للشرك ، ولسلامة
العقول لا للخيال والخيال ^(١) .

كان ابن تيمية في النصف الثاني من عمره سراجاً
وهاجاً أطفأَ بعلمه وعمله شهرة أرباب المظاهر من
القضاة والعلماء ، وكان الصدر المقدم كلما دخل في
موضوع ديني أو سياسي ، وعثناً حاول بعض الشافعية
والمالكية أن يسلموه للعامة عليهم يقتلونه فما استطاعوا
أكثر من حجز حريته أشهراً في سجنه ، وكان
الملوك يحموه من تعصب خصومه ويعرفون قدره .
وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من مقام

(١) انظر كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » الطبعة الثانية للمسكتب الإسلامي .

ابن تيمية كثيراً ، وأراد أن يقتل من أفتوا بخلعه من العلامة ، وحثه على أن يفتئه في قتل بعضهم ، فأنكر أن يسأل أحداً منهم بسوء ، وقال له : إذا قلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم ، فقال له : أنهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً ، فقال الشيخ : من آذاني فهو في حل ، ومن آذى الله ورسوله ، فالله ينتقم منه ، أنا لا أنصر لنفسي ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه ، فلم نقدر عليه ، وقدر علينا ، فصفح عنا وحاجج عنا . فعل هذا ابن تيمية وخصومه يقولون : يجب التضييق عليه إن لم يقتل

وإلا فقد ثبت كفره ، ونحن نقول : إن هذا هو الفرق العظيم بين أخلاقه وأخلاق مشاكسيه ، هم كانوا من يهتمون لدنياهم ومظاهرهم ، وهو كان يتم للأخرى فقط ، وشتان بين المطلبين .

كان يتم لنشر الدين والقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه ، وهمهم أن يرضي عنهم السلطان فيقيهم في مناصبهم ويستمبلوا العامة فيقبلوا أيديهم .

هو يقول لنائب قلعة دمشق في فتنة غازان :
لولم يبق فيها إلا حجر واحد ، فلا تسامهم ذلك إن استطعت ، فسلمت القلعة من أذى التار ، وكان يدور كل ليلة على الأسودار يحرض الناس على الصبر والقتال ، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط ، وكذلك

كان شأنه في وقعة شقحب ، وكان يعد المسلمين بالنصر هذه المرة ، ويؤكّد كلامه في ذلك حتى نصروا على عدوهم .

وفي قتال الجرديةن والكسروانيين أبان أيضًا عن سياسة رشيدة ، وأرجع بعض الناشرين من أهلها إلى الإسلام .

من أهم المسائل التي حاول حсад ابن تيمية أن ينالوا بها منه مسألة شد الوحال إلى قبور الصالحين وغيرهم .

قال ابن كثير ^(١) : إن جواب ابن تيمية في هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء، والصالحين

(١) هو الإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤) .

وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارـة القبور .

وزيارـة القبور من غير شد رحل إليها مسألـة ،
وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألـة أخرى .

والشيخ لم يمنع الزيارة الحالية عن شد رحل
بل يستحبـها، ويندبـ إليها وكتـبـه ومناسـكـه تـشـهدـ بذلكـ،
ولم يتـعرضـ إلى هذه الزيارة في هذا الـوجهـ فيـ
الفـتـيـاـ، ولا قالـ: إنـهاـ معـصـيـةـ، ولا حـكـيـ الإـجـمـاعـ عـلـىـ
الـمـنـعـ مـنـهـاـ، ولاـ هوـ جـاـهـلـ قولـ الرـسـوـلـ ﷺـ:ـ

« زوروا القبور فإنـهاـ تـذـكـرـكـمـ الآـخـرـةـ » (١)

(١) أخرـجةـ ابنـ مـاجـةـ (١٥٦٩ـ)ـ منـ حـدـيـثـ أـبـيـ هـرـيـةـ
وـلـسـلـمـ (٩٧٦ـ)ـ (١٠٨ـ)ـ منـ حـدـيـثـ أـبـيـ هـرـيـةـ أـيـضاـ
بـلـفـظـ « فـزـوـرـواـ الـقـبـوـرـ فـإـنـهـاـ تـذـكـرـ الـمـوـتـ »ـ .ـ

ثار عليه مرة جماعة من الحسدة ، وشكوا منه
 أنه يقيم الحدود ، ويعذر ويحلق الرؤوس أيضاً ،
 وتكلم هو فيمن يشكوا منه ذلك وبين خطأهم .
 وراح مرة في ثلاثة من أصحابه ومعهم حجارون
 وأمرهم بقطع صخرة كانت بنهر قلوط ^(١) بدمشق
 تزار وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن
 الشرك بها ، فأراح عن المسلمين شبهة كان شرها
 عظيماً .

قال ابن كثير : وبهذا وأمثاله حسدوا وأبرزوا

(١) المعروف الآن بـ « قلبيط » وهو نهر تجتمع فيه
 قادورات عـدد من أحياء المدينة وتسقى منه بساتين
 الشاغور والميدان .

له العداوة ، وكذلك بكلامه بابن عربي ^(١) وأتباعه
فحسد على ذلك وعودي ، ولم يصلوا إليه بمكره
 وإنما أخذوه وحبسوه بالجاه ، قال : ولم يزل الشيخ
 ملازمًا للاشتغال في العلوم ، ونشر العلم ، وتصنيف
 الكتب ، وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة
 والاجتهد في الأحكام الشرعية .

ففي بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهاده

(١) صاحب « الفصوص » و « الفتوحات » وغيرها
 من الكتب التي تدعو إلى وحدة الوجود وقد بين العلماء
 أن هذه العقيدة أشد كفراً من اليهودية والنصرانية والمجوسية ،
 ومن أجل كتبه أفتى عدد كبير من العلماء بكافرته . انظر
 كتاب « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي » . الإمام
 البقاعي ، وكانت وفاة ابن عربي سنة ٦٣٨

من موافقة أئمة المذاهب الأربع ، وفي بعضها يفتى
بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم .

وله اختيارات كثيرة في مجلدات عديدة أفتى
فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على ذلك من
الكتاب والسنّة وأقوال الصحابة والسلف .

رجل هذا شأنه يكفره القاضي المالكي ، ويحاول
قتله - والتعزيز عند المالكية القتل - ولا تشتفى
نفوس بعض العلماء والسياسيين حتى ينادي
بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله
خصوصاً الخنابلة .

وجعوا الخنابلة من صالحية دمشق وغيرها
وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي .

قال الصلاح الصفدي ^(١) كان كثيراً ما ينشدني :
 تموت النفوس بأوصابها ولم يدرِ عوادُها ما بها
 وما انصفت مهجةٌ تشتكي أذاها إلى غير أحبابها
 وأنشد على لسان القراء (جماعة الطرق) :
 والله ما فقرنا اختيار وإنما فقرنا اضطرار
 جماعة كلنا كسالى وأكلنا ماله عيار
 تسمع منها إذا جتمعنا حقيقه كلها فشار ^(٢)

(١) هو الشاعر المؤرخ صاحب كتاب « الوافي بالوفيات »
 وقد حقق الجزء الثاني الذي فيه ترجمة شيخ الإسلام الصديق
 الدكتور إحسان عباس . ولد الصلاح بصفد ٦٩٦ وتلقى
 العلم بدمشق وتوفي فيها سنة ٧٦٤ رحمه الله .

(٢) الفشار : الكذب والمفهان ، والكلمة دخيلة .